ما هو تأثير هذا الكتاب؟

اعلموا أن تأثير هذا الكتاب الجامع لجميع الأدلة والحقائق لا يقتصر على أنه قد أُثبت فيه بفضل الله تعالى بالحجج البينة أن هذا العبد المتواضع هو المسيح الموعود، بل من تأثيره أيضا أنه قد أُثبِت فيه أن الإسلام دين حيٌّ وصادق. مع أنه يمكن لكل قوم أن يدّعوا أنهم يؤمنون بالله واحدا لا شريك له، كما يدّعي الآريون والبراهمو أنهم يعتقدون بالوحدانية مع اعتبارهم كل ذرة شريكة لله وأزلية؛ ولكن لا يسع هذه الأقوام أن تُقدِّم دليلا قاطعا على وجود الله الحي ولا تطمئن قلوبهم بوجود الله◈. لذا فإن دعاويهم بالإيمان بالله واحدا لا شريك له ليست إلا دعاوى فارغة فحسب، فإقرارهم هذا لا يقدر على أن يصبِّغ قلوبهم بصبغة التوحيد الحقيقي. فليس من نصيبهم أن يؤمنوا بوجود الله أصلا، دعك عن إيمانهم به ﷻ واحدا لا شريك له، بل إن قلوبهم تائهة في الظلمات.

تذكّروا أنه لا يسع الإنسان أن يعرف الله – الذي هو غيب الغيب – بقوته الشخصية ما لم يعرِّف ﷻ عن نفسه بآياته. كما لا يمكن أن تنشأ علاقة صادقة مع الله ما لم تنشأ منه هو ﷻ بوجه خاص. ولا يمكن أن تتخلص النفس من شوائبها بالكامل ما لم ينزل على القلب نور من الله القادر.

انظروا، إني أقدم شهادة عيان أن تلك العلاقة إنما تنشأ باتّباع القرآن الكريم وحده، ولم يعُد في الكتب الأخرى روح الحياة قط، ولا كتاب تحت أديم السماء يُري وجه ذلك المحبوب الحقيقي إلا كتاب واحد هو القرآن الكريم.

◈ لا حاجة لذكر المسيحيين هنا لأن إلههم من اختراع أيديهم مثل الأدوات والأجهزة الأخرى، ولا يوجد له نظير في صحيفة الفطرة، ولا يأتي من قِبله صوت: "أنا الموجود"، وما أظهر قدرة إلهية بوجه خاص لم يظهرها الأنبياء الآخرون. وفيما يتعلق بتضحيته فإن التضحية بديك تبدو أكثر تأثيرا منها؛ إذ يستعيد الشخص الضعيف قوته سريعا من حسائه. وويلٌ لتضحية تأثيرها أقل من التضحية بديك. منه.

إني لا أعبأ بالاعتراضات المختلفة التي يوجّهها إليَّ قومي، إذ من الخيانة الكبيرة أن أتركَ سبيل الحق خوفا منهم. عليهم أن يتفكروا أن الله تعالى قد وهب شخصا بصيرة من عنده وأراه بنفسه السبيل وشرّفه بمكالمته ومخاطبته وأظهر لتصديقه آلاف الآيات، فأنّى له أن يُعرض عن شمس الصدق والحق معتبرا ظنيات المعاندين شيئا يُذكَر. ولا أبالي أيضا بأن المعارضين من الداخل والخارج يبحثون عن عيوب فيَّ، لأن ذلك لا يُثبت إلا كراميتي، لأنه لو كان في شخصي كل أنواع العيوب وكنت – على حد قولهم – ناقض العهد وكذابا ودجالا ومفتريا وخائنا وآكل الحرام وسببا للفُرقة في القوم وفتّانا وفاسقا وفاجرا وأفتري على الله منذ ثلاثين عاما تقريبا وأسب الصالحين والصادقين، وليس في روحي إلا الشر والسيئة والتصرفات الشائنة والأنانية، وفتحتُ هذا المتجر لخداع الناس فقط ولا أؤمن بالله كما يزعمون (والعياذ بالله)، ولا عيب في الدنيا إلا وهو بي، ومع وجود عيوب الدنيا كلها في شخصي، ومع كون نفسي مليئة بكل أنواع الظلم، ومع أنني أكلت أموال الكثيرين بغير وجه حق، وشتمتُ الكثيرين – الذين كانوا أطهارا كالملائكة – وساهمت في كل سيئة وخداع أكثر من كل واحد؛ فما السر في أنه قد هلك كل من بارزني من أصحاب السيرة الملائكية مع أني أنا السيئ وصاحب السيرة السيئة والخائن والكذاب! وكلٌّ من باهلني دُمِّر، وكلُّ من دعا عليَّ رُدّ عليه دعاؤه. وكل من رفع ضدي قضية في المحكمة هُزم؟ ولتجِدُنَّ في هذا الكتاب نفسه أمثلة على إثبات كل هذه الأمور.

كان من المفروض أن أُهلَك أنا في تلك المواجهات، وأن تنزل الصاعقةُ عليَّ، بل لم تكن هناك حاجة أصلا لأن يبارزني أحد لأن الله بنفسه عدوٌّ للمجرمين. فبالله عليكم، فكرّوا لماذا ظهرت النتيجة على عكس ذلك؟ لماذا هلك الأبرار أمامي وأنقذني الله عند كل مواجهة؟ ألا تثبت من ذلك كراميتي؟ فالشكر لله تعالى على أن السيئات التي تُنسَب إليّ إنما تُثبت كراميتي.

الراقم، ميرزا غلام أحمد القادياني، المسيح الموعود

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على خير رسله محمد وآله وأصحابه أجمعين.

أما بعد فليتضح أني شعرت بحاجة إلى تأليف هذا الكتاب، لأنه كما ظهرت في هذا الزمن ألوف الأنواع من الفتن والبدعات الأخرى، كذلك ظهرت فتنة كبيرة أخرى؛ وهي أن معظم الناس يجهلون الدرجة والحالة التي تكون فيها الرؤى أو الإلهام جديرةً بالثقة، والحالات المحفوفة بخطر أن يكون ذلك الكلام كلام الشيطان لا كلام الله، أو أن يكون حديث النفس لا حديث الرب.◎ ليكن معلوما أن الشيطان للإنسان عدو مبين، ويحاول أن يهلكه بطرق مختلفة. فمن الممكن أن تكون الرؤيا صادقة ومع ذلك تكون من الشيطان، وأن يكون الإلهام صادقا ومع ذلك يكون من الشيطان، لأن الشيطان مع كونه كذابا يخدع الإنسان بإطلاعه على الصدق أحيانا لينـــزع الإيمان. أما الذين يصلون في صدقهم ووفائهم وحبهم لله تعالى درجة الكمال فلا يمكن أن يكون للشيطان عليهم سلطان، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾؛ فهذه علامة على أن أمطار فضل الله تعالى تنـــزل عليهم، وعلى أنه توجد فيهم ألوف أمارات القبول عند الله التي سنذكرها في هذا الكتاب لاحقا بإذن الله.

◎ فمثلا حين تُحجبُ الشمس بالغيوم من ناحية، ومن ناحية ثانية يثور الغبار أيضا فـــلا يمكن وصول ضوء الشمس إلى الأرض بجلاء. كذلك حين تعمُّ النفسَ ظلمتُهـــا ويغلبـــها الشيطانُ فلن يصلها ضوء الشمس الروحانية جيدا، وكلما انقشع الغبـــار تجلّـــى ضـــوء الشمس. فهذه هي فلسفة الوحي الإلهي. إن الوحي الحقيقي إنما يتلقاه أصفياء القلـــوب وحدهم الذين لا يحول بينهم وبين الله حائل.

وليكن معلوما أيضا أن الوحي الذي تصحبه النصرة الإلهية والأمارات الصريحة للإكـــرام والإجلال وتتجلى فيه علامات القبول؛ لا يتلقاه إلا المقبولون في حضرة الله. وليس بوسع الشيطان أن يلهم مدّعيا كاذبا – تأييداً له – إلهاما تتجلى من خلالـــه قـــوة وقـــدرة، أو يكشف عليه غيبا جليا إكراما له ليكون شاهدا على دعواه. منه.

ولكن الأسف كل الأسف أن كثيرا من الناس يكونون أسرى في قبضة الشيطان، ومع ذلك يعوِّلون على رؤاهم وإلهاماتهم، وبواسطتها يريدون ترويج معتقداتهم الخاطئة ومذاهبهم الباطلة، بل يقدمون تلك الرؤى والإلهامات شهادةً، أو ينوون الاستخفاف بالدين الحق بتقديمهم تلك الرؤى والإلهامات، أو أن يجعلوا أنبياء الله الأطهار في أعين الناس أناسًا عاديين. أو يريدون أن يظهروا أنه إذا كان صدق دين يثبت بالرؤى والإلهامات فلا بد من اعتباره صادقا. ومنهم من لا يُقدِّمون رؤاهم وإلهاماتهم لإثبات صدق دينهم بل يهدفون من بيانها إلى أن يثبتوا أن الرؤيا والإلهام ليس معيارا لمعرفة دين حق أو شخص صادق. ومنهم من يقصون أحلامهم استكبارا واعتزازا بأنفسهم فقط. ومنهم مَن إذا ظهر صدق بعض أحلامهم وإلهاماتهم – حسب رأيهم – قدموا أنفسهم بناء عليها أئمةً أو رُسُلا. فهذه بعض المفاسد التي انتشرت في هذه البلاد بكثرة هائلة، وقد تطَّرق إلى أصحابها الكبر والغرور بدلا من الإيمان والصدق. فرأيت من المناسب أن أؤلف هذا الكتاب للتمييز بين الحق والباطل لأنني أرى بعضا من قليلي الفهم يقعون في الابتلاء بسبب هؤلاء الناس، ولا سيما حين يرون أن زيدا مثلا – معتمدا على حُلمه أو إلهامه – يكفّر بكرًا مع كونه هو الآخر ملهَمًا مثله، وأن شخصا ثالثا يكفِّرهما كليهما. والغريب في الأمر أن كل واحد من الثلاثة يدّعي صدق إلهاماته، ويقدم شهادات على أن بعض نبوءاته قد تحقق. فيتعثر الناس كثيرا نظرا إلى هذه التناقضات والرفض والتكذيب المتبادل؛ فيفكرون أنه إذا كان الإله واحدا فكيف يمكنه أن يلهم زيدا شيئا ثم يقول لبكرٍ ما يتنافى مع ذلك ويقول لخالد شيئا آخر تماما. فهذا الوضع يؤدي بالجاهل إلى الشك في وجود الله تعالى.

فمجمل القول أن هذه الأمور تترك عامة الناس في قلق، فتصبح سلسلة النبوة مشكوكا فيها في نظرهم. وهناك أمر آخر أيضا يُربك عامة الناس وهو أن بعض الفساق والفجار والزناة والظالمين وغير الملتزمين بالدين واللصوص وآكلي الحرام والعاملين على عكس أوامر الله تعالى أيضا يرون رؤى صادقة أحيانا. وقد تبيّن

لي ذلك شخصيا أن بعض النساء من الفئة الدنيا اللاتي شغلُهن أكلُ الميتة وارتكاب الجرائم قد سردن رؤاهن أمامي وقد تحقق بعضها. والأغرب من ذلك أن بعض الزانيات والرجال من فئة منْ يمارسون الدعارة والمتورطين في الزنا ليل نهار أيضا حكَوا بعضا من مناماتهم ثم تحققت. وكذلك رأيت بعض الهندوس أيضا المتورطين في نجاسة الشرك وهم ألد أعداء الإسلام وقد تحققت بعض أحلامهم أيضا كما رأوها تماما. جاءني هندوسي من قاديان في أثناء تأليفي هذا الكتاب وكان من فئة كهتري* وقال: لقد رأيت في المنام أنه قد صدر قرار نقل نائب مدير مكتب البريد الفلاني ثم ألغي هذا القرار، وهذا ما حصل بالضبط. وقال لي هذا الهندوسي بمناسبات مختلفة إنه قد تحقق كثير من أحلامه الأخرى أيضا. لا أدري ما الذي كان يهدف إليه من وراء بيانه ذلك، ولماذا كان يسرد لي أحلامه بصورة متكررة، لأن سلسلة الأحلام والإلهام قد انقطعت بحسب الفيدا. كذلك كان هناك هندوسي خبيث شرير معتاد على الزنا ألقي في السجن، ثم بعد أن أطلِق سراحه قابلني صدفة.. لا زلت أذكر أنه كان قد حُكم عليه بالسجن عدةَ أعوام لجريمة السرقة أو غيرها، فقال: في صباح اليوم الذي كانت المحكمة سوف تصدر عليّ حكم السجن ومع أن حكما كهذا لم يكن متوقعا، فقد كُشف لي في تلك الليلة أني سأُسجَن، وهذا ما حصل بالضبط، وسُجنتُ في اليوم ذاته. كذلك هناك شخص في أمريكا اسمه "دوئي" تصدر له جريدة أيضا، يعتبر عيسى عليه السلام إلها ويعدّ نفسه خليفة للنبي إيليا، ويدعي أنه ملهَم، ويسرد للناس إلهاماته ورؤاه بدعوى أنها تتحقق. وذلك مع أنه يعتقد بكون إنسانٍ عاجز ربَّ العالمين. أما عن سلوكياته فيكفي القول إن أمه كانت امرأة زانية، وهو معترف بكونه ابن زنا، وينحدر من عائلة إسكافيين. وأحد إخوته يعمل إسكافيا في أستراليا. وهذه الأمور ليست إدعاءات دون دليل بل بحوزتنا كل الجرائد والرسائل التي تكشف حالته العائلية على هذا النحو.

* *طبقة عرقية عليا من طبقات الهندوس- المترجم*

فملخص الكلام أنه ما دام الناس يتلقون بين حين وآخر رؤى وإلهامات مختلفة، بل تتحقق أيضا في بعض الأحيان – وإن عدد الذين يدّعون الإلهام والوحي في هذا البلد يربو على خمسين شخصا، ودائرتهم واسعة جدا ولا يُشترط كونهم على دين حق أو كون سلوكياتهم حسنة – فليس من عاقل إلا ويشعر من الأعماق بضرورة إيجاد علامة فارقة (بين نوعي الرؤى والإلهامات) من شأنها أن تحلّ هذه المعضلة، وخاصة في حالة وجود أدلة على أن الناس من كل فرقة يرون الرؤى ويتلقون الإلهامات مع اختلافهم في الدين والمعتقدات ويكذِّبُ بعضهم بعضا بناء على رؤاهم وإلهاماتهم، ثم تتحقق بعض الرؤى لأصحاب كل فرقة. فمن الواضح أن هذا الأمر يمثّل حجر عثرة في سبيل الباحثين عن الحق ويشكل عليهم خطرا كبيرا، وإنه لَسُمّ قاتل خصوصا لأولئك الذين يدّعون تلقي الإلهام من الله. الحق أنه لا علاقة لهم مع الله ﷻ بل يزعمون أنفسهم شيئا يُذكر مخدوعين بحُلمهم إن تحقق مرة، وهكذا يُحرمون من البحث عن الحق، بل ينظرون إليه نظرةَ ازدراء واستخفاف. فهذا ما دفعني إلى أن أُبيّن الفرق بين الظاهرتين للباحثين عن الحق. وقد قسمتُ الكتاب إلى أربعة أبواب. فكان الباب الأول عن الذين يرون بعض الرؤى الصالحة أو يتلقون بعض الإلهامات الصادقة دون أن تكون لهم مع الله تعالى أية صلة. والباب الثاني في بيان الذين يرون بعض الرؤى الصالحة ويتلقون بعض الإلهامات الصادقة ولهم صلة مع الله تعالى إلى حد ما ولكنها ليست قوية. والباب الثالث في ذكر الذين يتلقون من الله تعالى وحيا أكمل وأصفى وهم يحظون بشرف المكالمة والمخاطبة الإلهية الكاملة ويرون الرؤى أيضا مثل فلق الصبح ويكونون على علاقة أكمل وأتم وأصفى مع الله ﷻ مثل أنبياء الله الأصفياء. والباب الرابع في بيان أحوالي الشخصية أي في بيان قسم خاص أكرمني الله تعالى به من الأقسام الثلاثة فضلا منه ورحمة.

فأتناول الآن هذا الموضوع مُقسمًا إياه إلى الأبواب الأربعة، وما توفيقي إلا بالله. ربنا اهدنا صراطك المستقيم، وهب لنا من عندك فهم الدين القويم وعلِّمنا من لدنك علما. (آمين)